في البلاد صغيرا جدا وكان دورهـــا ومكانتها محدودين للغاية » ص ١٥٩ ·

عندما يتأمل القارىء ويتفحص هـذه الاستنتاجات الرئيسية حول « ضعـف مقومات التحرر الوطني » و « ضمـور » و « محدودية نفوذ الحركة الوطنيـة » والحجم « الصغير جدا » للعمال و « فئات الشغيلة » لا بد ان يستعيد فورا ما ذكره المؤلف في المقدمة من ان السيطـرة الامبريالية « لم تخلق القوى الاجتماعية النقيضة لها او « حفار قبرها » بل خلقت شروطا جديدة ملائمة تماما لاستدامـة سيطرتها » ص ١١ · اما الخلاصة التي يمكن الوصول اليها فهي موافقة الكاتب على استنتاجاته ، وكذلك القبول معـه « بتفسير الاخفاق التاريخي لحركة التحرر الوطني الاردنية » ·

بيد اننا اذا ما تتبعنا نشوء وتطـور الحركة الوطنية ، ودور الفئات والطبقـات الاجتماعية في العديد مـن النضـالات الوطنية ، وباشكال نضالية مختلفة ، على امتداد الفترة الزمنية التي اتخذها المؤلف مجالا للبحث ·· فاننا سنتصـل الـى استنتاجات متعارضة مع العديد مـن الاستنتاجات التي توصل اليها حول هـذه المسألة ، ويتبين لنا في الوقت نفسـه النظرة الاحادية لديه في رؤية جانب واحد من جوانب طبيعة نشوء وتطور الحركـة الوطنية ، وهو الجانب الديمقراطـي والعمالي المفترض ، حيث اتخـذه كـ « قياس » لفهم جدلية تكـون الحركـة الوطنية وتطورها في الاطوار المختلفة من تلك الفترة ·

يحدد الكاتب انه في « نهاية العشرينات بدأت نشأة الاحزاب الوطنية المعارضـة وقد تلتها حملة معارضـة وارهـاب للشخصيات الوطنية » ص ١١٢ · وفـي مكان اخر يتحدث عن « عودة الموجـة الثورية لتجتاح البلاد (···) والتـي كانت تأخذ شكل الاجتماعات والمؤتمرات» ص ١٦٢ · ويضيف انه في « سيـاق نهوض الحركة الوطنيـة الديمقراطيـة المناهضة للاستعمار » نشأت في اطـاره « محاولات التنظيم النقابي العمالي » ص ١٦٣ ، الذي « بعث مجددا عام ١٩٣٦ بمبادرة من ملحم قاسم الذي كان يحظى بدعم الشيوعيين في فلسطين » ص ١٦١ · وكذلك فان احاديث بعض النقابيين ، التي اعتمدها المؤلف ، اشارت الى « قيـام اضرابات عمالية في البلاد فـي سيـاق محاولات لاقامة نقابة خاصة بهم » ويستند المؤلف ايضا الى تقاريـر البوليـس البريطاني في فلسطين التي تحدثت عـن محاولات الحزب الشيوعي لتنظيم خلايـا ومجموعات عمالية في الاردن منذ منتصف العشرينات (···) وعن نشاط عناصر الحزب الشيوعي ومحاولاتهم في شـرق الاردن » ص ١٦١ ، وكذلك عن نشاطات « عصبة مناهضة الامبريالية » ، وعـن قيام « اتحاد للعمال الاردنيين في مطالع الثلاثينات ، الذي اسسه الدكتور صبحي غيمة ، وهو احد الشخصيات المعارضة » ص ١٦١ ، واخيرا عن دور « المؤتمـر الاردني الاول » ، الذي عقد في تمـوز ٩٢٥ بعمان واصدر ميثاقا وطنيا انتقـد فيه دور ونفوذ بريطانية فـي الدولـة الاردنية » ص ١١٢ ·

تظهر تلك التحركـات والنضـالات الديمقراطية والوطنيـة ، عـن الدور النضالي لـ « طلائع » القوى الحديثـة والجذرية ، وبعض تعبيراتها السياسيـة ، والتي تكونت ، بشكل جنيني في سياق ، وضمن التطور المشوه والتبعي للسيطـرة الكولونيالية ، فماذا عن النضالات الوطنية التحررية العامة على صعيـد القـوى الاقتصادية والاجتماعية الاخـرى ذات الطابع التقليدي ؟ ·

يؤكد حوراني ، عند كشفه للممارسات القمعية للكولونيالية واداتها المحلية ، بـان « الشغل الشاغل للكولونيالية واداتهـا